المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الدين والتصوف في الفكر العربي المعاصر

أدونيس أنموذجا

د.كرد محمد[1]

بومعزة هجيرة[2]

الملخص :

حينما يطالع القارئ أو الناقد مشروع أدونيس الشعري فإنه بالضرورة يقف عند علامات وملامح تشكل مجمل هذا المشروع الشعري ،ومن أهمها محاولته النظر إلى ماهية الشعر في حد ذاته، وبذلك يكون أدونيس قد تساءل عن حقيقة الشعر بواسطة القول الشعري، فهو بذلك يستحق لقب شاعر الشعراء ،هذا الأمر الذي يدفعنا إلى طرح التساؤلات التالية: ما طبيعة القول الشعري في المشروع الفكري الأدونيسي؟ وإلى أي مدى يمكن للطرح الشعري أن يسائل ماهية الشعر؟ وما علاقته بالممارسة الدينية؟

الكلمات المفتاحية : ماهية الشعر؛ الفكر العربي؛ الحقيقة؛ الخطاب؛ التأويل، التصوف

تمهيد:

من الأهمية بمكان أن نبدأ بمحاولة تحديد مفهوم ((الشعر))، إلا أن أولى الإشكاليات التي تواجه أي باحث في مجال تحديد ماهية ((الشعر)) تتمثل في تجاوز هذا الأخير لجميع التعريفات..، يقول أدونيس في مؤلفه ((الثابت والمتحول)): "لا يمكن وضع تعريفات نهائية للشعر. إنه يفلت من كل تحديد، ذلك أنه ليس شيئا ثابتا، وإنما هو حركة مستمرة من الإبداع المستمر (...) يجيء الشعر من أفق لا ينتهي، ويتجه نحو أفق لا ينتهي. ذلك أنه لا يجيء من معلوم مسبق، وإنما يجيء من مجهول لا ينكشف، بشكل نهائي، لأنه في حاجة دائمة إلى الكشف"[3].

[1] – أستاذ محاضر (أ) جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر،

[2] طالبة دكتورالية، جامعة معسكر، عنوان المشروع" اللغة والدين في الخطاب الفلسفي، إشراف:أ.د نابي بوعلي

3– أدونيس: الثابت والمتحول، الجزء الرابع، ((صدمة الحداثة وسلطة الموروث الشعبي)) دار الساقي، ص : 246.

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

لا يقبل الشعر، إذن، التعريفات الجامعة المانعة ولا يقبل بالمنطق الذي اصطلح عليه المناطقة، للشعر منطق خاص يتبدل بتبدل الزمان والمكان، كما أن لكل شاعر منطقه الخاص، للشعر عالم خاص الذي هو أساسا عالم الإنسان، ولا غنى لأحدهما عن الآخر، ولا فضل لأحدهما على الآخر، إلا بما يحمل من معنى للآخر.

ظل تعريف الشعر، وبسبب عموميته بالأخص، يمثل في تاريخ الفكر الإنساني مسألة تكشف عن قلق عميق وإحساس بتعقد المشكلة وتشعبها، وهذا ما طرح بقوة على جميع الفلاسفة والمفكرين مشكلة تحديد ماهية الشعر، وتحديد دوره وعلاقاته وارتباطاته بالإنسان وبالوجود.

مفهوم الشعر:

أ. لغة :

ارتبط الشعر في اللغة العربية بالشعور والمعرفة والإدراك لما خفي من الأمور، فقد جاء في المعاجم اللغوية أن الشعر هو الكلام المنظوم، أما قائله فهو شاعر، ويفيد اسم الشاعر الشخص الذي يشعر ما لا يشعره غيره أي يعلمه، وفي هذا المعنى يقول ابن منظور أن الشعر هو: "منظوم القول، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كل عِلْمٍ شِعْراً من حيث غلب الفقه على علم[...] والجمع أَشعارٌ، وقائلُه شاعِرٌ لأَنه يَشْعُرُ ما لا يَشْعُرُ غيره أَي يعلم (...) وسمي شاعِراً لفِطْنَتِه"[1]؛ إن جذر كلمة شعر في العربية، ((شعر)) ويكون المعنى عَلم وعقل وفَطن؛ ولما نقول ليت شعري، فمعناه ليت علمي أو ليتَني عَلِمْت، وبهذا المعنى الأصلي يكون **كل علم شعرا**؛ ومن هنا يمكن أن نقول أن النظم لا يأتي إلا في الدرجة الثانية، ذلك أن القول الشعري وفق هذا التحديد اللغوي لا يقوم إلا من خلال وجود نوع من الفطنة والاستشعار وإلا لما سُمِيَ قائِله شاعرا، ولما كان كلامه شعرا؛ فالشعور والعلم مطلوبين هنا.

وقد نجد في قول ابن رشيق ما يؤكد هذا المعنى: "وإنما سُمِي الشاعر شاعرا، لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه، أو استظراف لفظ وابتداعه، أو زيادة فيما أجحف فيه غيره، من المعاني، او نقص مما أطاله سواء من الألفاظ، أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر، كان اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة، ولم يكن له إلا فضل الوزن، وليس بفضل عندي مع التقصير"[2].

1- ابن منظور : لسان العرب المحيط، اعاد بناءه على الحرف الاول من الكلمة: يوسف خياط، المجلد الثاني ، دار لسان العرب بيروت، (بدون تاريخ)، مادة: شعر، ص:323..

2- علي شلش: في عالم الشعر، دار المعارف، القاهرة، ص: 12.

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وفي اللغات الأوروبية نقول poésie، وأصلها اليوناني Poetica التي أطلقها أرسطو Aristote (ت: 322 ق.م) على كتابه (فن الشعر*)، هذه الكلمة لا تقتصر في اللغة اليونانية على (فن الشعر) بل تُطلق على كل الفنون سواء منها الفنون النافعة أو الفنون الجميلة، وهي مشتقة من فعل Poiein ومعناه : (يَصْنَعُ، ويقوم بفعل ما Faire)، أي (يُنْتِج)، ومادام شأن الشاعر هو شأن كل فنان منتج فإن كلمة (بوئيطيقا Poetica) تشير إلى الفنون عموماً، وكافة أشكال **الخلق** Création باستخدام اللغة سواء أكان هذا الخلق قصاً أو شعراً، فلفظ (بويزيسPoesis) الدال على الشعر في الإغريقية يعني عند أرسطو **إنتاج الخطاب وصناعته**[1].

لقد استعمل أرسطو تبعا لذلك، إذن، كلمة (بويزيس poésis) بمعنى إنتاج الخطاب وصناعته، وقد اهتدى إلى "**المحاكاة**" كأساس يقوم عليه الشعر، وجعل من هذا الأساس صفة تشترك فيها جميع الفنون **الجميلة**، ولكنها تختلف في وسائلها، فهو ينطلق في تحليله ودراسته للظاهرة الشعرية والفنية، من التأكيد على أن الفعالية الشعرية والفنية، تتعلق أساسا بالمحاكاة، وتختلف الأعمال والمبدعات الفنية والشعرية، بعد ذلك، تبعا للطريقة التي تكون بها المحاكاة، وهي إما ترجع إلى الوسائل أو الموضوعات أو الأسلوب والشكل الفني.

ويذكرنا مارتن هيدغر* بأن الكلمة الدالة على الشعر في اللغة الألمانية هي ((Dichtung)) ومصدرها ((Tithon)) والذي يرتبط بالأصل اللاتيني ((Dictare)) وقد ظل هذا المفهوم، قي نظر هيدغر، لسوء ترجمته مرتبطا بالمجال اللغوي المسمى ((Poétique))؛ هذا الفهم كما يشير إلى ذلك هيدغر لا يوضح لنا حقيقة الشعر، إن كلمة ((Poetisch)) تنحدر بدورها من ((poiesis)) والتي تعني: يعمل، يصنع شيئا ما، هذا التحديد **غير كاف** للإحاطة بماهية ((Poetisch)) أو ((Dichterisch))، فإذا كانت لكل هذه

*- يعد كتاب أرسطو ((فن الشعر)) عمل في النقد النظري أو الفلسفي ذلك أن اهتمام أرسطو انصب في هذا الكتاب على مفهوم الأجناس الأدبية وطبيعتها الجوهرية دون الاهتمام بشاعر بعينه أو بعمله، فعمله على الإجمال يتمحور حول **ماهية الشعر** والحديث عن أنواعه وأجناسه، فهو مقاربة للشعر بوصفه فنا مميزا عن غيره (الخطابة، التاريخ، العلم، الدرس الأدبي، الفلسفة..).

1 -Encyclopédie de la philosophie, la Pochothèque, Garzanti, 2002, p: 1285.

*- ولد مارتن هيدغر Martin Heidegger في 26 سبتمبر1989 في مسكيرش Messkirch، نشر سنة 1927 كتابه الشّهير "الوجود والزّمان، ومن جملة المبادئ التي يقوم عليها مذهب هيدغر الفلسفي نذكر: "1- مبدأ الرجوع إلى الأصول الأولى التي قامت عليها الفلسفة (مرحلة ما قبل سقراط). 2- مبدأ التمسك بالأصالة بمعنى أن الوصول إلى معاني النصوص الأصلية لا يتأتى بطريق التصور بالعقل المجرد لعناصرها ولا بالتمكن من ناصية اللغة التي تنقلها، وإنما بطريق إلقاء السمع إليها حتى تنطق ألفاظها بما كمّن فيها من معان خفية طواها النسيان. 3- مبدأ إيمائية اللغة. 4- مبدا شعرية الفكر". [طه عبد الرحمن: فقه الفلسفة2، لبمركز الثقافي العربي، ط1، 1999،ص ص291- 292].

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الألفاظ نفس الجذر ولفظ ((Deiknumi)) فإن هذا يعني أنها تشير إلى هذا المعنى: **تكشف، تجعل شيئا ما مرئيا** rendre quelque chose visible, le rendre manifeste.[1]

مفهوم الشعر في الفلسفة الإسلامية:

يرى ابن سينا (ت: 1037م) أن التخييل هو جوهر الشعر، وقيمة التخييل لا ترجع إلى القائل وإنما إلى ما يخلفه في السامع من انفعال نفساني لا علاقة له بالعقل، **فالشعر لا يخاطب العقل**، ولكنه يخاطب الشعور، وهو إنما يصل إلى ذلك بما فيه من قوة المحاكاة من جهة، وبما في النفس الإنسانية من ميل فطري إلى المحاكاة من جهة أخرى، ووسيلته في ذلك تجريد النفس من عنصر الإرادة والاختيار؛ فكأنه يبغي أن يصل إلى نفس المتلقي بطريقة مباشرة دون اختيار عقلي، ذلك أن الشعر أصلا قول مخيل لا يشترط فيه صدق أو كذب. ويؤكد ابن سينا على ذلك من خلال الفصل بين التخييل الذي يخاطب النفس والتصديق الذي يخاطب العقل، ويذهب بعد ذلك إلى التأكيد على ضرورة أن يسلك الشعر طريق التخييل ليؤثر في النفس سواء أكان بعد ذلك صادقا أم كاذبا[2]، ومن ثمة فإنه إن توفر عنصر التخييل لم يعد مهما أن يكون المضمون صادقا أم كاذبا.

لقد جعل ابن سينا من التخييل، إذن، الاساس الأول للشعر، ومن الوزن قاعدته الثانية؛ كما حرص أشد الحرص على الإشارة إلى أن **الشعر كلام مخيل**، باعتبار التخييل هو الفيصل بين الشعر والأقاويل البرهانية التصديقية، يقول ابن سينا ما نصه: "الشعر كلام مخيل مؤلف من أقوال ذوات إيقاعات متفقة متساوية متكررة ... فالكلام جنس أول للشعر ... و قولنا من ألفاظ مخيلة فصل بينه و بين الأقاويل العرفانية التصديقية (...) إن الشعر هو كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة"[3]؛ وهكذا نكون أمام عدة أشكال للألفاظ، توجد ألفاظ دالة حقيقية وهي التي تشير إلى معان اصطلاحية، يكون الغرض منها هو ((التفهيم))؛ كما توجد ألفاظ تستخدم في غير معانيها التي وضعت لها لتصبح دالة على معان مغايرة ومختلفة عن معانيها المتعارف عليها، ومن هنا نشأت الاستعارة والمجاز، وهذا ما يكشف عنده عن الفرق بين لغة العلم ولغة الشعر؛ ويشير ابن سينا إلى أفضلية النوع الأول الذي تستخدم فيه الألفاظ استخداما حقيقيا.

وتبعا لذلك نرى أن الشعر، عند الفلاسفة المسلمين، لم يكن مستبعدا بل كان تابعا للفلسفة؛ فالحقيقة الشعرية من حيث هي نتاج الخيال هي دون الحقيقة الفلسفية التي تقوم على العقل الحجاجي، وفي هذا المعنى

1 -Martin Heidegger: Les Hymnes de Hölderlin : La Germanie et Le Rhin, trad. fr. F. Fédier et J. Hervier, Gallimard, 1988, p. 40.

2- عصام قصبجي: أصول النقد العربي القديم – مطابع الأصيل، حلب، 1981. ص : 75

3- ألفت محمد كمال عبد العزيز: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص: 91

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

يقول ابن سينا: "وأفضل القول في التفهيم إنما هو القول المشهور المبتذل الذي لا يخفى على أحد، وهذه الأقاويل إنما تؤلف من الأسماء المشهورة المبتذلة، وهي التي سماها أرسطو فيما قبل الحقيقة"[1].

3 –الشعر وانفتاح الذات على الممكن:

يجعل أدونيس من الشعر التخيلي آلية من آليات نقد وتجاوز الخطاب الديني السائد بحيث يرى أن التحول الشعري ظهر في العصر الأموي في تجربتين، الأولى هي التجربة الذاتية ومعناها إعطاء الأولوية للعالم الداخلي عالم العواطف والرغبات والأهواء على العلم الخارجي عالم القيم الأخلاقية والاجتماعية أو على الأقل تغليب الأولى على الثانية والثانية على التجربة السياسية و الإيديولوجية وأعني بها التوحيد بين الشعر والسياسة[2]، أو النظر إلى الشعر بوصفه شكلا من أشكال العمل السياسي، حيث يعتبر هذا الأخير أصل من أصول الثقافة العربية وهو متعدد ومتنوع من حيث المحتوى ومن حيث التغيير معا، بدأ هذا التعدد منذ ظهور الإسلام في اتجاهين، الأول يحافظ على القيم السائدة القديمة التي أقرها الإسلام، والجديدة التي نشأت معه والثاني يتمرد عليها ويخرج، وهكذا يمكن أن نضيف شعراء التجربة الأولى أي التجربة الذاتية بأنهم شعراء التمرد على القيم السائدة القديمة التي أقرها الإسلام، وبما أن هؤلاء الشعراء يتكلمون بشكل أو بآخر المنحى الذي يمثله امرؤ القيس، فإنه من الطبيعي أن نشير أولا إلى مظاهر تمرده و خروجه خصوصا أنه يمثل في التراث العربي النموذج الشعري الأول للخروج أي للتحول[3]، يعد امرؤ القيس من بين الشعراء الذين مثلوا النموذج الشعري التحولي، وذلك كون أشعاره كانت بمثابة تجاوز وخرق القيم الدينية والأخلاقية السائدة في المجتمع العربي الإسلامي ويمكن تفصيل هذا الخروج في ثلاثة نواحي:

ـ الأولى تتمثل في خروجه على النموذج الخلاقي، ومن هنا أخذ عليه فجوره وعهره وقيل في شعره عن المرأة إنه معنى فاحش، وتتمثل الحالة الثالثة في الخروج على نموذج التعبير، فامرؤ القيس يحيد باللفظة عما وضعت له أصلا، فكما أنه لايطابق بين المعنى ونموذجيته فإنه كذلك لايطابق بين اللفظة ومدلولها الأصلي، ثم إنه لا يتقيد بنسق التعبير.

1– ابن سينا: الشفاء، تحقيق جورج قنواتي وسعيد زايد، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1975، ص: 36.

[2]علي أحمد سعيد: الثابت والمتحول، ج 1، مصدر سابق، ص 261.

[3]– المرجع نفسه، ص 260

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وتأكيدا على أهمية الخطاب الشعري نجد أدونيس يقر بأن الشعر مغامرة انطولوجية، يدخل من خلالها الشاعر إلى عالم متعدد الأبعاد تضحى فيه الذات تمارس كينونتها كامتداد لاستمرارية الوجود الإنساني، وكصيرورة تاريخية بعد اكتشاف التشكلات والممارسات الخطابية التي أضمرتها علاقات تحوي إرادات سلطة كانت سائدة[1].

يمارس الإنسان كينونته، من خلال الشعر، ويتعرف على الوجود في شكله الحقيقي، وذلك لأن اللغة الشعرية لغة خالصة، يتمكن الشاعر، من خلالها، أن يسائل الوجود ويستكشفه ومن ثمة فإن أدونيس يعيد قراءة التاريخ بواسطة أبجدية ثابتة تجاوزت الذات والمكان والزمان واللاشعور وتضيئ سراديب لغة طواها النسيان[2]، فالشعر بمثابة الأبجدية الثابتة التي تحل محل اللغة بالمفهوم والاستخدام السائد، والمحدد بأطر سابقة، فهي إذن قراءة جديدة يخترق من خلالها أدونيس التراث والتاريخ بشكل جذري، والكتابة كإثارة حيوية لأبعاد متعددة تخضع لآلية الكشف والتأويل[3]، وهي تعتبر قراءة إشكالية لأنها تتأسس على ضرورة التأويل والكشف والاختراق والتجاوز.

وفي هذا السياق يتساءل أدونيس: هل أكتب تاريخا للأسود أو للأحمر؟ أو تاريخا لالون له، هل أنسى نفسي من أجل الشيء أو أذكر نفسي، فمثل هذه التساؤلات تتيح لنا مساءلة التراث واختراق أطره الثابتة وتجعلنا قادرين على تجاوز الحقائق المؤدلجة باسم الدين، وإعادة فهمها من جديد واستنطاقها خارج إطار السلطة والإيديولوجيا، يعترف أدونيس بزيف اللغة وخضوعها للسياجات الدغمائية التي أنتجتها المؤسسة بشكلها الديني والاجتماعي والثقافي، فهي نتاج لكل ما تم تأصيله وتثبيته من فهم وقراءات وتأويلات، ويرى الباحث عبد العزيز بومسهولي أن ما نريد أن نوضحه ضمن مشروع حداثة أدونيس أن الشاعر يؤسس لشعرية تأويلية جديدة تستمد كينونتها الفعلية من كون الشعر أساسا مفتوحا على أبعاد التشابك الدلالي [4].

يختلف الخطاب الشعري عن الخطاب الديني، الشعر بهذا المفهوم مشروع قراءة جديدة للعالم بما هي تمثل تأويلي بين رؤية على أساس الاختلاف والتعدد، و هو ما يعطي لقراءة أدونيس للوجود تلك القراءة المتميزة و يعبر الشاعر عن رؤيا الاختلاف والتعدد بين الشكل والمضمون.

يرى أدونيس، إذن، في الشعر قدرة على تجاوز الواقع إلى خلق الإمكان بواسطة الكلمة، **فبالشعر نحول العالم إلى قصيدة تتكلم**، ستكون اللغة، إذن، أداة أساسية لخلق الإمكان، وإذا لم يكن من لغة فلن يكون الشعر؛ وللتأكيد على الانفصال القائم بين الواقع العيني وما يمكن أن ينقله الشاعر لنا يقول أدونيس: "ليس

[1]– عبد العزيز بومسهولي , الشعر والتأويل قراءة في شعر آدونيس , دار افريقيا الشرق , د ط , ص 14

[2]المرجع نفسه، ص 24

[3]المرجع نفسه، ص 24

1علي أحمد سعيد، أبجدية ثانية، مصدر سابق، ص 143

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

الواقع، بوقائعه وحقائقه الثابتة، مقياسا لصدق الشعر. وليس التطابق معه معيارا لشعريته أو لجودته. فللشعر واقع آخر، غير الواقع العيني، الجاهز، المباشر، وهو يُبحث ويُقوم، في منظور هذا الواقع الآخر، وبخصوصيته (...) وشرط الشعر أن يكشف لنا مجهولا، لأن الشعر الذي يقدم لنا المنكشف المعروف، لا يكون إلا ترتيبا آخر لما عرفناه.. ولا يكون بالتالي شعرا"[1].

تتضمن هذه التحديدات النقاط التالية:

- استبعاد أي ارتباط للشعر بالواقع الحسي المباشر، وربطه بأفق لامنتهي ولذلك فهو بحاجة دائما إلى الكشف، وهذا يعني أن ذات الشاعر أصبحت منفصلة عن الواقع المباشر، فهي تنطلق من رفضها لما هو واقع باعتباره وجودا زائفا.

- أن الشعر لا يخبر ولا ينقل حقائق ثابتة، وبالتالي فهو يتجاوز ولا يصدر عما هو حسي عقلي، إنه يعلو عن العقل والمنطق، وهو بالتالي يطلب حضور ((المقدس الإلهي)) في زمن استبعد وجوده، يقول أدونيس في قصيدته ((مفرد بصيغة الجمع)):

"مات إله كان من هناك...
يصعد في أعماقي الإله،
لربما، فالأرض لي سرير وزوجة
والعالم انحاءْ"[2]

فالشعر بالنسبة لأدونيس هو الذي يخلق فكرا، أي عالما غير متوقع، "ليس الأثر الشعري انعكاساً بل فتحاً، وليس الشعر رسماً بل خلقاً." الشعر إذن "رؤيا، والرؤيا بطبيعتها قفزة خارج المفهومات السائدة"[3]؛ وإذا كان هناك من سبب لنعت التجربة الشعرية بأنها رؤيا أكثر من كونها رؤية، فمرده إلى توظيف الشعر—بشكل مكثف- لعالم الميثولوجيا Mythologie والرمز والحلم والأسطورة وغيرها. بهذه المعاني الجديدة يمكن أن نتحدث عن ثورية النص الشعري، فالقول بأن اللغة الشعرية تكشف عن الإمكان، أو عن الاحتمال، أي عن المستقبل، يناهض الثقافة التي تقوم على الرؤيا الختامية للكون، أي تلك التي ترى أن العالم معروف، لا مجهول فيه، وأن

1- أدونيس: الثابت والمتحول، مرجع سابق، ص 245.
2. أدونيس: الأعمال الشعرية الكاملة، ج2، دار العودة بيروت، الطبعة الخامسة، 1981، ص: 668.
3- أدونيس : زمن الشعر ، دار العودة بيروت، الطبعة الثانية، 1978، ص:9

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

مهمة الإنسان أن يشرحه فقط. الشعر تأسيس للوجود، تأسيس باللغة والرؤيا لعالم لم نعهده من قبل[1]، ولا يمكن أن يكون، في ظل هذه التصورات، لاحقا للوجود.

ولما كان عمل الشاعر هو أن يعيد خلق الواقع، لا أن يعبر عنه، فإن اللغة في منظور الشاعر المعاصر تجاوز مهمتها التقليدية المحددة بوظيفة التعبير، لكي تصبح في المفهوم المعاصر للشعر لغة خلق: "فليس الشاعر هو الشخص الذي لديه شيء ليعبر عنه،بل الشخص الذي يخلق أشياء بطريقة جديدة"[2]. تصبح اللغة في ظل هذه التصورات الحديثة، ذات سلطة تخترق الذات الشاعرة، **فالخطاب الشعري هو صوت الوجود، وتكون اللغة أساس تكفل للإنسان إمكانية الانفتاح على الوجود، حيث تكون اللغة يكون العالم**، فهي ليست أداة، وإنما هي الحدث الذي يتحكم في أعلى إمكانات الإنسان، "إن اللغة في الشعر ليست إناءً للأفكار كما هو الشأن في العلم أو النثر، بعامة. اللغة الشعرية نسيج خصوصي من الكلام، أو بنية خاصة تنصهر فيها الكلمات والأفكار والمشاعر والرؤى في حدس واحد، ودِفق واحد"[3].

فالتجربة الصوفية حسب أدونيس تتجاوز الأطر الدينية بالمعنى الحرفي أو المؤسسي ، إنها تجربة في الكشف عن الباطن الغيبي وفي التعبير عنه حيث أنها تبحث عن الحقيقة الكامنة في ذلك الباطن الغيبي و التي هي من طور يتجاوز الشريعة و يتجاوز العقل الفقهي أو الشرعي المؤسس على الظاهر 4 فأد ونيس من خلال هذا الطرح يدعوا إلى تجاوز الخطاب الديني السائد و القائم على أطر وثوابت كانت نتيجة لفهم كرسه الأوائل أمثال الطبري و ابن حزم و ابن تيمية .

فأدونيس يرى في الصوفية سبيلا لاختراق العالم المادي لإثبات الذات العميقة ذلك أن لغة التجربة الصوفية تعيد النظر تجاوزيا في لغة السائد الشرعي (الظاهر) تأسيسا للغة الأصل (الباطن)5 فهي لغة مشبعة بدلالات و إيحاءات روحية تتجاوز المعنى الحرفي إلى المعنى المجازي، وانطلاقا من هذا المعنى تؤسس الصوفية لرفض المؤسسة الفقهية الشرعية و قيمها ، و تفترض رفض المؤسسة الدينية الاجتماعية و قيمها

1- أدونيس : مقدمة للشعر العربي، دار العودة، ط 3، بيروت، 1979، ص: 102.

2 - أدونيس : زمن الشعر، مرجع سابق، ص:19 .

3. أدونيس: الثابت والمتحول، مرجع سابق، ص 243.

[4] المرجع نفسه ، ص 173

[5] علي أحمد سعيد اسبر ، الصوفية والسوريالية، مرجع سابق، ص 175

المجلد التاسع/ العدد الثالث سبتمبر 2017 ISSN: 1112-8518, EISSN: 2600-6200

وهذا يعني أن لغة الخطاب الديني السائد كما يرى أدونيس هي لغة مؤدلجة لا تعبر عن حقيقة النص الديني بل هي تجسيد لفهم ديني معين تابع لمؤسسة فقهية ، دون غيرها و هذا ما يجعل من الدين خطابا مقدسا غير قابل للفهم أو التأويل خارج السياق الذي طرح و فهم فيه

وعليه نصف الصوفية بأنها رفض جذري للتقليد النقلى و العقلي على السواء . وبأنها تدخل الإنسان بدءا من ذلك في مناطق عديدة و متنوعة، حيث كان هذا التقليد يحرمها أو يحيد عنها أو يكبتها1.

ترى التجربة الصوفية في المطلق الإلهي معنى يقترن بالمطلق الإنساني أي بصورة الإنسان للكون بدئيا، معنى (إله) وصورة إنسان، من هنا تجاوزت الصوفية التجريد أو التعالي بالمعنى التقليدي الديني ، و تغير تبعا لذلك مفهوم العالم ، و تغيرت من ضمن هذا المفهوم علاقة الإنسان بالله و علاقة الله بالعالم2.

عملت النظرة عند المتصوفة على إجراء مقارنة بين الله و الإنسان من ناحية الإطلاق حيث أن صورة الله مقرونة بصورة الإنسان أو تتجلى فيها حيث ألغت عن الله عز وجل صفاته مثل التجرد والتعالي وبذلك حدث هناك تغيير لمفهوم العالم و تغيرت معه عدة مفاهيم من أبرزها علاقة الإنسان بالله بما أن البشر هم مظاهر تتجلى فيهم صفات الله عز وجل سبب نزع صفات الوجودية عند الله عز وجل.

[1] المرجع نفسه، ص 176

[2] علي أحمد سعيد ، الثابت والمتحول ، الثابت و المتحول ، دار الساقي ، بيروت، لبنان ، د ط ، 1994، ص 10